

ثورة في الصحراء

« وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »

على متن الريح فوق السحاب ، كانت رحلتنا ما بين جدة والظهران . وقد مضت بنا الطائرة تشق أجواز الفضاء وتطوى البيد والقفار ، ونحن نحقق من نوافذها الصغيرة في الصحراء المترامية من تحتنا ، فلا نرى خلال ساعات أربع غير التيه ، تتدافع فيه أمواج الرمال المتقدة في وهج الظهيرة ، وتتطاير ذراتها فتعقد من حولنا سحباً كالضباب ، يلف هذا القفر الياب . .

أربع ساعات عبر المهمة الماحل الأجرد ، لم نلمح فيها أثراً لحياة أو معلماً للطريق ، ولا سمعنا سوى أزيز الطائرة وهي تتعثر في كهوف الهواء . .

ونظرت إلى رفاق السفر في الطائرة ، فإذا فيهم نفر من البدو ركبوا معنا متن الهواء وامتطوا جناح هذا الطير على بساط الريح . وإن فيهم من شق أكباد الإبل في مسيره عبر هاتيك الفيافي التي لا تنفك في مخيلتهم ملعباً للغيلان ومراحاً للوحوش . . وعطفت على بدوية كانت تجلس أمامي في عبايتها السوداء فسألتها : إن كان لها بركوب الطائرة عهد قبل اليوم ؟

فأجابت بصوت هامس ، حرصت على ألا يبلغ مسمع الرجال الأغراب :
- بل هذى أول مرة أخرج فيها من ديارنا ، وما عرفت قط غير الإبل مركباً .

قلت : فما ترين في رحلة اليوم ؟

ردت من فورها : عجيبة والله ! وما أدري أهي من فعل ساحر من مردة الجان ، أم يعيش في زمننا هاذك بقية من جند النبي سليمان ؟

ولما سألتها بلغة البادية ، أين تحط رحالها ؟

أجابت بأنها لاحقة برجلها العامل في (الكامب السعودي) بالظهران . فابتسمت للمفارقة الطريفة بين عبارتي البدوية : تحط الرحال ، واللفظ الحديث الدخيل : الكامب .

وحمل لنا مضيف لحمًا طرياً وخبزاً طازجاً شهياً وشراب الكولا والأناناس ، فأخذت